

تأثير الفقر على حياة الشاعر الجاهلي: دراسة تحليلية

*An Analytical Study of the Impact of Poverty
on the Life of Pre-Islamic Poet*

* د. ظاهر شاه

** د. يعقوب خان مروت

Abstract:

There is no doubt that poverty is one of the major phenomenon which destroys the entity of the human society and it is also one of the obstacles that prevents the ability and talent of humans to create and innovate in a suitable environment, it also causes the ignorance, mental and social tension, and it also desists human being to strengthen his family ties and make well settled position in the society, it affects adversely the life and mind of humans and forced him to commit crimes and violations in the society. We see that this phenomenon has affected the life of pre-Islamic poet and compelled him on raiding and robbery, so in this article we have tried to highlight the impact of poverty on the life of pre-Islamic poet .

.....

المقدمة:

مما لا شك فيه أن الفقر يعد من كبرى الظواهر المدمرة لكيان المجتمع الإنساني كما أنه من إحدى العوائق التي تحول دون إطلاق مواهب الإنسان وقدرته على الابتكار والإبداع في بيئة مناسبة فالفقر يأتي بالتخلف والجهل والتوتر الاجتماعي والذهني ويحول بين الإنسان وبين تمكنه من بناء أسرته وبيئته ومجتمعه فهو يؤثر على حياة الإنسان تأثيراً سلبياً يدمر ذهنه وحياته ويسلب منه قدراته وصلحياته ويجبره على ارتكاب الجنايات والمخالفات البشرية ونرى هذه الظاهرة قد أثرت على حياة الشاعر الجاهلي وأجبرته على الغارات والصعلكة

* محاضر بقسم اللغة العربية، جامعة بشاور

** أستاذ بقسم اللغة العربية، جامعة بشاور

لذا حاولنا في هذا المقال إبراز مدى تأثير الفقر على حياة الشاعر الجاهلي في الفقرات

التالية:

- 1- التمهيد
- 2- أهمية المال والغنى عند الشاعر الجاهلي
- 3- حسرات الفقر وآلامه
- 4- أسباب نشأة الصعلكة والأنفة العربية
- 5- التفاضل الاجتماعي في المجتمع الجاهلي
- 6- الفقر في حياة الصعاليك الاجتماعية
- 7- طرفة بن العبد ومعانات حياته

1- التمهيد:

الفقر ظاهرة اجتماعية اقتصادية موجودة في جميع المجتمعات ولها أسباب عدة منها الإنسان نفسه الذي يتقاعس عن العمل ويتهرب عن مسؤولياته ومنها ما يرتبط بالأوضاع الطبيعية الطقسية كما نرى أن حياة الشاعر الجاهلي القائمة على المراعي المنحصرة في قطاع الإبل والضأن والمعز كانت بأمس الحاجة إلى المطر لأنه ينبث الكلاً وتحيا به الأرض وتقوم عليه حياة الشاعر الجاهلي والماشية لذلك كان العرب يستبشرون بنزول المطر لأنه يؤذن بحياة الأرض وزوال القحط والجفاف وإليه قد أشار القرآن الكريم: "الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فييسط في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير¹.

هذا وإلى جانب آخر فقد الشاعر الجاهلي الأمن في حياته وواجه قلة مصادر الرزق والتوتر الاجتماعي في بيئته فاتخذ الغزو والصعلكة وسيلة لعيشه ومصدرا من مصادر كسب الأموال لقضاء حاجاته فبدأ ينهب أموال القوافل التجارية ويسلب ما يجوزها قسرا وعنوة ومن هنا قد انغرس في نفسه حب المخاطرة والمغامرة والقتل والحروب والاستيلاء على موارد مياه الآخرين والدفاع عن مواشيه ومراعيه وعميون مياهه فكان يعتز بالقوة وشدة البأس والدفاع عن قبيلته بسيفه ولسانه فتأثرت حياته تأثرا شديدا بالأوضاع المتوترة وبدت تباشير

الفقر في حياته فجعل في نظره جميع وسائل كسب الأموال ومصادرها مشروعة ليحصل على المنزلة الرفيعة بين أفراد مجتمعه ويكسب حسن السيرة والثناء من أقرانه يقول عروة بن الورد في هذا المعنى²:

أخليك أو أغنيك عن سوء محضري	ذريني أطوف في البلاد لعلني
جزوعا وهل عن ذاك من متأخر	فإن فاز سهم للمنية لم أكن
لكم خلف أدبار البيوت ومنظر	وإن فاز سهمي كفلكم عن مقاعد
ضبوعا برجل تارة وبمتمسر	تقول لك الولايات هل أنت تارك
أراك على أقتاد صرما مذكر	ومستثبت في مالك العام أنبي
مخوف رداها أن تصيبك فاحذر	فجوع لأهل الصالحين منزلة
ومن كل سوداء المعاصم تعتري	أبي الخفض من يغشاك من ذي قرابة

ويقول أيضا في هذا المعنى³:

أفيد غني فيه لذي الحق محمل	دعيني أطوف في البلاد لعلني
وليس علينا في الحقوق معول	أليس غريبا أن تلم ملمة
تلم به الأيام فالموت أجمل	فإن نحن لم نملك دفاعا بجادث

2- أهمية المال والغنى عند الشاعر الجاهلي:

جعل بعض الناس المال والغنى والثراء أساسا لحياتهم واتخذوا جميع الوسائل لكسب أموالهم ليقابل مظاهر الحفاوة والتكريم بينما أصبح الفقير في المجتمع محروما من كل أنواع التقدير والتكريم وأصبحت حياته عبأ عليه وصار ضائعا لا قيمة له في مجتمع إنساني مهما بلغ به النسب وامتد في العشيرة لأن الفقر في نظر الناس داء ومرض يفرون منه والفقير حقير في نظرة زوجه وذليل عند أبناء قومه صغارا وكبارا أما الغني فهو صاحب منزلة رفيعة ومكانة مرموقة في المجتمع وله صيت وصوت بين أفراد المجتمع وقوله حجة ورأيه رأي لا يعتريه الخطأ مهما عظم ذنبه وساء رأيه فله رب يغفر ذنوبه ويمحو زلاته وهذا ما يراه عروة قائلا⁴:

دعيني للغنى أسعى فإني	رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهواهم عليهم	وإن أمس له حسب وخير
ويقصيه الندى وتزدرية	حليلته وينهره الصغير

ويلغى ذو الغنى وله جلال
 يكاد فؤاد صاحبه يطير
 قليل ذنبه والذنب جم
 ولكن للغنى رب غفور
 وهكذا يرى الشاعر الجاهلي أوس بن حجر أن الغني يصبح بماله سيدا ولو كان عبدا
 والفقير يصير ضائعا ولو كان ذا نسب وعشيرة فجعل الناس المال ميزانا لمعرفة منزلة الإنسان
 في المجتمع إذ يقول⁵:

بنى أم ذي المال الكثير يرونه
 وإن كان عبدا سيد الأمر جحفلا
 وهم لمقل المال أولاد علة
 وإن كان محضا في العشيرة مخلولا
 فنظرا لأهمية المال وتأثيره في نفوس الناس تأثيرا عميقا تكالبوا على جمعه بمختلف
 الوسائل والطرق، وأكثر الشاعر الجاهلي من ذكر الغنى والثراء وأهمية المال للحصول على
 منزلته في المجتمع في أشعاره كما أكثر من ذكر مأساة الفقر وتأثيره سلبا في حياة الإنسان
 وصور هذه الظاهرة الاجتماعية بشتى الصور والتعابير وأجاز للناس أن يكسبوا الأموال بأية
 طريقة كانت حتى ولو احتاجوا إلى قطع صلوات الرحم والقربى في سبيل جمع الأموال وكسبها
 يقول أحيحة بن الجلاح⁶:

استغن عن كل ذي قربي وذي رحم
 إن الغني من استغنى عن الناس⁷
 فجمع الأموال عند الشاعر الجاهلي أعلى من صلوات القربى والرحم لأن صاحبه
 يحترم ويكرم لذا يبحث ويحرضه على جمع الأموال فالثري عنده كريم على الإخوان فهو ينجح
 بجميع النداءات إلا نداء الأموال فهو لا يخذله يقول⁸:

واستغن أو مت ولا يغرك ذونشب
 من ابن عم ولا عم ولاخال
 يلوون ما لهم عن حق أقرهم
 وعن عشيرتهم والحق للوالي
 فاجمع ولا تحقرن شيئا بجمعه
 ولا تضيعنه يوما على حال
 إني إقليم على الزوراء أعمرها
 إن الكريم على الإخوان ذو مال

3- حسرات الفقر وآلامه:

فالعار هو عار الفقر ويزداد خذلان الإنسان ويتضاعف عند ما تطلب زوجته الطلاق
 لفقره مع أنه من خيار قومه فتزداد حسرة الفقير ويتضاعف ألمه حينما يرى نفورا من أقرانه
 وأقربائه فهو ذو المال ومحضر كل سر عند الناس ويوثق به في كل أندية وتحترمه زوجته يقول
 زيد بن عمر بن نفييل شاكيا عن طلب زوجته من الطلاق لأجل الفقر والحاجة⁹:

تلك عرساي تنطقان على عم ——— سد لي اليوم قول زور وهتر
 سالتاني الطلاق أن رأتما ما لي قليلا قد جثمانى بنكر
 فلعلى إن يكثر المال عندي ويعرى من المغارم ظهرى
 وترى أعبد لنا وأواق ومنا صيف من خوادم عشر
 وي كأن من يكن له نسب يجب ——— وب ومن يفتقر يعيش عيش صر
 ويجنب سر النجى ولكن أخوا المال محضر كل سر
 وهكذا يشكو ذو الخرق الطهوي¹⁰ من زوجته التي طالبت فراقه عند ما افتقر فهو
 يتعجب من أنها لا تكلمه، يقول¹¹:

ما بال أم حبيش لا تكلمنا لما افتقرنا وقد نثرى فنتفق
 تقطع الطرف دونى وهي عاسة كما تشاوس فيك الثائر الحق
 لما رأت إبلى جاءت حمولتها غرثى عجافا عليها الريش والخرق
 قالت ألا تبغى مالا تعيش به مما تلاقي وشر العيشة الرمق
 فيئى إليك فأنا معشر صير فى الجذب لا خفة فينا ولا ملق

4- أسباب نشأة الصعلكة والأنفة العربية:

ولما فقد الشاعر الجاهلي الفقير مكانته في المجتمع وأهمل وجرّد من كل معاني الشرف ولم يشعره أحد بقيمته الإنسانية في مجتمعه فبدأ يشعر شعورا حادا بالانتقام من الأغنياء ووجدت نتيجة لهذه الظاهر الاجتماعية طائفة من الشعراء الفقراء باسم الصعاليك وهم الشعراء الذين عانوا من الفقر في المجتمع وضائق عليهم الأرض وأصبحت حياتهم حياة الجهد والمعاناة والنهب والهجوم على الأموال الأغنياء ونرى هذه الصفات والألوان في أشعارهم بارزة لكنهم ليسوا وحدهم الذين عانوا من الفقر وجنى عليهم المجتمع بل نجد هناك عددا من الشعراء الفقراء الذين لم يفصحوا في أشعارهم عن فقرهم بل اختار التعفف كما يقول عنترة العيسى بقوله:¹²

وأيسر من كفى إذا ما مددتها لنيل عطاء مد عنقي لذابح
 وقوله أيضا:¹³

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

وقد امتدح القرآن الكريم هذا الصنف من الفقراء المتعففين من المسلمين فقال تعالى:

(للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً)¹⁴.

فإذا ما حدث أن أعرض الشاعر الفقير عن السؤال، فإن ذلك يرجع إلى الأنفة العربية التي تمنعه من الشكوى والسؤال، لكن الصعاليك تمردوا على المجتمع وقيمه، وأصبح هدفهم السعي وراء الغنى، واغتصاب الأموال.

وهذه المعاني التي يتحدث عنها الشعراء الفقراء فيما يتعلق بمكانة الفقير في المجتمع الجاهلي من خلال نظرة المجتمع له، إنما هي سباط تنصب على الفقراء، تحول في نفوسهم جميعاً، وقد عبروا عنها في أشعارهم. يمثل قول مالك ابن حريم¹⁵، الذي يرى أن المال يرفع الحسنة ويجعل الذميمة محموداً بينما الفقر مذلة لصاحبه بين الناس¹⁶:

أنيك والأيام ذات تجارب	وتيدي لك الأيام مالست تعلم
بأن ثراء المال يرفع ربه	ويثني عليه الحمد وهو مذمم
وإن قليل المال للمرء مفسد	يجز كما حز القطيع المحرم
يرى درجات الحمد لا يستطيعها	ويجلس وسط القوم لا يتكلم

وقد صور مالك بن الحارث الهذلي¹⁷ العلاقة بين الأغنياء والفقراء في مجتمعه فقال¹⁸:

رأيت معاشرًا يثني عليهم	إذا شبعوا وأوجههم قباح
يظل المصرمون لهم سجوداً	ولو لم يسق عندهم ضياح ¹⁹

5- التفاضل الاجتماعي في المجتمع الجاهلي

ولا شك أنهما علاقة نفعية لا تخضع إلى حد كبير إلا للمال، وقد عكست هذه النصوص الشعرية التي أوردناها ذلك التفاضل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء في المجتمع الجاهلي، فصاحب المال الكثير محمود حتى لو كان غير أهل للحمد، أما الفقير فحظه الحرمان المحض، وليس له من سبيل إلى الحديث وسط القوم مهما كان نسبه.

لقد أدى الفقر بكثير من الشعراء إلى تشردهم في الأرض سعياً وراء الغنيمة، وبذلك كانوا عرضة للجوع والمسغبة، تقطعت بهم السبل لا أحد يدري أين وجهتهم²⁰:

وسائلة أين الرحيل وسائل	ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه
مذاهبه أن الفجاج عريضة	إذا ضن عنه بالفعال أقراربه

ولسنا هنا بصدد الحديث عن الصعاليك في العصر الجاهلي كمنهج، لأن الذي يعيننا من أمرهم شعرهم الشاكي، وأسباب هذه الشكوى، ولعمري إن شكوى الصعاليك مؤثرة لصدقهم في معاناتهم، فلقد كانوا عرضة للجوع الذي كان من أقوى الدوافع التي آلت بهم إلى سلوك التشرد، والإغارة، وهو سلوك منحرف خلعتهم قبائلهم بسببه، فخرجوا مشردين عن الأحياء على ما في ذلك من التذمر والتألم²¹، فكثرت شكواهم من الفقر والجوع والتشرد، ومع هذا فإننا قد نجدهم يمزجون شكواهم تلك شيئاً من الفخر الذاتي، فقد وجدنا الشنفرى يصور جوعه، وتصبره عليه، وهو يظل يبحث عن القوت القليل كما يبحث الذئب عن فريسته، وليس الجوع وحسب الذي يعانيه بل إن الهموم والآلام كانت تحالفه وتعاوده معاودة الحمى الشديد، وهو يحاول ردها فلا يستطيع يقول²²:

أديم مطال الجوع حتى أميته	وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل ا
وأستف ترب الأرض كيلا يرى له	على من الطول امرؤ متطول
ولا اجتناب الذام لم يلف مشرب	يعاش به إلا لدي ومأكل
ولكن نفسا مرة لا تقيم بي	على الذام إلا ريثما أتحول
وأطوي على الحمص الحوايا كما	انطوت خيوطه ماري تغار وتقتل
وأغلو على القوت الزهيد كما	غدا أزل تماداه السائف أطحل
وإلف هموم ما تزال تعوده	عيادا كحمى الربع أو هي أتقل
إذا وردت أصدرتها ثم إنها	تتوب فتأتي من تحيت ومن عل

لقد كتب الشقاء نتيجة للفقر وما ارتبط به من الجوع والمسغبة على كثير من هؤلاء الصعاليك، ونجد أبا خراش الهذلي في جاهليته كان من الصعاليك الذين اکتبوا بنار الجوع وتجرعوا مراراته كثيرا، فلقد قست عليه الحياة فلم يجد ما يأكل إلا بمشقة بالغة، وليس من عجب أن يشكو من ذلك قائلا²³:

وإني لأتوى الجوع حتى يملني
فيذهب ولم يدنس ثيابي ولا جرمي
وقد يكون خلف تصبره على الجوع عزة قعساء تمنعه من سؤال الناس وتكفهم،
وهو يشكو من زوجته التي سئمت منه نتيجة فقره، وتعلقت بأخر من الموسرين يقول²⁴:

لقد علمت أم الأديب أنني أقول لها هدى ولا تذخري لحمي
فإن غدا إن لا نجد بعض زادنا نفيء لك زادا أو نعدك بالازم
رأت رجلا قد لوجته مخامص وطافت برنان المعدين ذي شحم
غذي لقاح لا يزال كأنه حميت بدبغ عظمه غير ذي حجم
تقول فلولا أنت أنكحت سيدي أزف إليه أو حملت على قرم

6- أثر الفقر في حياة الصعاليك الاجتماعية

إن المتتبع لشعر هؤلاء الصعاليك الشاكين، وما يفصحون عنه من الجوع والفقر يجدهم يسعون دائما للحصول على المال، يسدون به رمقهم وخاصة أهلهم، وأن الواحد منهم قد تأخذه غيبة في الصحراء فيذكر أولاده وأهله وعندئذ يتقطع قلبه حسرة عليهم ويشكو فقرهم وبؤسهم مصورا حالتهم ورجاءهم، وهم بالعراء لا يملكون شيئا، يرزحون في فقر شديد لا يعطف عليهم أحد، ولكنهم مع ذلك ينظرون إلى من عسى أن يأتيهم بشيء يسد بعض حاجتهم يقول الأعمى الهذلي²⁵:

وذكرت أهلي بالعراء وحاجة الشعب التوالب
المصرمين من التلا د اللامحين إلى الأقارب
وبجاني نعمان قلـــــــ ———— أت ألبغني مآرب

لقد عاش هؤلاء الصعاليك حياة اقتصادية مزرية، يعانون مرارة الفقر بعد أن تمردوا على مجتمعهم فبذهم فكان الفقر عقدة العقد في حياتهم، تحدثوا عنه في شعرهم مظهرين تمردهم وشكواهم المريرة من هذا الوضع الاقتصادي الهابط في مجتمع توزعت فيه الثروة توزيعا غير عادل فتذمروا من فقرهم وهوانهم، وسوء حالهم، وضربوا في الأرض سعيا وراء الغنى في محاولة لتجاوز واقع البؤس والحرمان وحتى لا يكونوا من شرار الناس كما بين ذلك زعيمهم عروة بن الورد، الذي أحس بالفردية الاجتماعية وتخلخل المجتمع بنظامه القبلي، كما أحس بالتفاوت بين أفراد المجتمع في الثروة، والجنس، واللون، وشعر بالظلم الذي يتعرض على الفقر، ولذلك رأيناه يتوجه باللوم للفقراء الذين يرضون بفتات الأغنياء بينما يثني على الصعلوك الفقير الذي يشق طريقه في الحياة عزيزا غازيا، فالسعي من أجل العزة أفضل من الخنوع والفقر، وإلا فالموت في سبيل العزة والكرامة خير من العيش في ظل الذل والمهانة²⁶:

إذا المرء لم يبعث سواماً ولم يرح عليه ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته فقيراً ومن مولى تدب عقاربه
وهو يحمل على الصعلوك الكسول، فيصفه بأرذل الصفات بينما يثني على الآخر
الثائر الغازي الذي يكسب رزقه بقوة سيفه وسطوة يده فيقول²⁷:

لحى الله صعلوكا إذا جن ليلة مضى في المشاش ألفا كل مجزر
بعد الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح طاويا يحت الحصى عن جنبه المتعفر
قليل التماس الزاد إلا لنفسه إذا هو أمس كالعريش المحور
يعين نساء الحي ما يستعنه ويمسى طليحا كالبعير المحسر
ولكن صعلوكا صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المنتور
مظلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر
إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المنتظر
فذلك إن يلق المنية يلقها حميدا وإن يستغن يوما فأحدر

إهما صورتان مختلفتان للصعلوك الثابر، وآخر للخامل الكسول، فإما أن يكون
خاملا يتكفف الناس، وإما أن يكون ثائرا عزيزا يكسب رزقه بقوته وبأسه وذاك في نظر عروة
الأفضل وهو الشجاع دائما.

لقد كانت الشكوى من الفقر مدوية عند هؤلاء الصعاليك، فهذا صخر الغي يشكو
من فقره وضيق ذات يده فيقول²⁸:

إني بدهماء قل ما أحد عاودني من حباها زود
ومثل هذه الشكوى نجدتها عند عمرو بن براق في قوله أيضا²⁹:
وكيف ينام الليل من جل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم
وفي إشارته هنا إلى السيف دليل على غزوه المستمر، فسيفه جل ماله وهو ما يعتمد
عليه لعيشه.

7- طرفة بن العبد ومعاناة حياته:

أما طرفة بن العبد فإنه ليس من هؤلاء الصعاليك لكن الفقر قد مضه فتجلت الحقيقة
المرّة عنده في خلو يده من المال بعد أن حرم الولد فعبر عن هذا الوضع الذي يعيشه بمرارة

قاسية، فلو شاء الله وهبه الولد فكان كقيس بن خالد، ولو شاء وهبه المال فكان كعمرو بن مرثد، ولأقبل كرام الناس وسادتهم يعودونه ويخطبون وده، ويأتي تعبيره عنه هذه الحقيقة في أسلوب شكائي متألم من كبوة الحظ، وعثرة الأيام لا بنون لديه ولا مال³⁰:

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وعادي بنون كرام سادة لمسود

والسليك بن السلكة يشكو من عجزه عن مساعدة حالاته اللواتي يمتهن من قبل الأغنياء لكن ماله يعجز عن مساعدتهن، وليته يكفيه، وهو لا يقصد حالاته في النسب وإنما النساء الإماء اللواتي يشاركنه في اللون والفقر يقول³¹:

أشباب الرأس أي كل يوم أرى لي خالة وسط الرحال
يشق علي أن يلقين ضيما ويعجز عن تخلصهن مالي

إن من الأمور التي تنتج عن الفقر شدة الجوع الذي يتعرض له الفقراء، وما ينشأ عن ذلك من ضعف وهزال ونحول الأجسام، وقد اشتكى الفقراء من هذه المظاهر المؤلمة، ومنهم تأبط شرا، فهو يشكو من قلة زاده، وضعف جسمه وتواء عظامه حتى التصقت أمعاؤه³²

قليل ادخار الزاد إلا تلة وقد نشز الشر سوف والتصق المعى
بييت بمعنى الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

ونحن إذ نأتي إلى نهاية هذا المقال نود أن نقول: بأن الفقر مجمع العيوب وهو محل البلاء³³، وقد استعاذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - من شر فتنة الفقر فقال: (أعوذ بك من شر فتنة الفقر)³⁴ وقال: (إني أعوذ بك من الكفر والفقر)³⁵ وقال بعضهم: (ما ضرب العباد بسوط أوجع من الفقر)³⁶ فلا غرابة أن نجد صيحات الشكوى من الفقر عند الشعراء في العصر الجاهلي بل وفي سائر العصور اللاحقة، فقد وجدناهم تارة يشكون من الفقر المدقع وأنه لا يوجد عند بعضهم غير سلاحه يعتمد عليه، وأحيانا أخرى نجدهم يشكون من الجوع الناتج عن الفقر، وأحيانا نجدهم كذلك يشكون من نحول الأجسام، والضعف المتناهي، ويصورون في شكواهم تلك حالتهم وما يعانونه من ذل وهوان، بل نجدهم كذلك لا ينسون أن يفتخروا بشجاعتهم، وسرعة عدوهم، ومرافقتهم لحيوانات الصحراء.

وخلاصة القول:

إن المجتمع الجاهلي لم يكن متماثلاً في توزيع الثروة فلم يكن هناك ما يؤخذ من الأغنياء فيرد على الفقراء كما حدث في الإسلام من أمر الزكاة، لكن الأموال تركزت حينذاك عند بعض الناس في مناطق معينة قد يكون منها مكة والمدينة، وبعض مناطق اليمن، والطائف، بينما ظل عرب البادية يحسون بضاوة الجوع ووطأة الفقر، وشدة المعاناة نتيجة لتعرض باديتهم للجذب وعدم نزول الأمطار بشكل مستمر، ومن هنا فإن أغلب الفقراء كانوا من عرب البادية الذين قاموا بزراعة الأمن ونشر الفوضى في محاولة منهم لمشاركة الأغنياء في شرائهم، والتخلص من شبح الفقر، والجوع، وإن كان بعضهم قد أخذ ظاهرة الصعلكة عن رغبة وقناعة لا يستطيع منها فكاً كما عبر عن ذلك الأحمير السعدي³⁷ عند ما حاول التوبة في آخر حياته فكان يغالب نفسه مغالبة شديدة حينما تمر به القوافل التي كانت لا تنجو منه قبل ذلك فنجدته يشكو صبره عن سلبها ويحن لتلك الأيام السالفة³⁸:

أشكو إلى الله صبري عن زواملهم وما ألقى إذا مرت من الحزن
لكن ليالي نلقاهم فنسلبهم سقيا لذاك زمانا كان من زمن

وربما كان ذلك محاولة منهم لمجاعة الأغنياء في الكرم، والبذل فالعربي بطبعه كريم سخي، أو أن جودهم المفرط كان سبباً في إتلاف ما في أيديهم فهم كرماء لا يحبون البخل³⁹:

وقد علمت سليمي أن رأيي ورأيي البخل مختلف شتيت
وأني لا يربني البخل رأيي سواء إن عطشت وإن رويت
ولعل هذا أيضاً من الأسباب التي أدت بعروة وغيره إلى الجود فأتلقت
أموالهم وعندئذ اتجهوا إلى حياة الصعلكة.

الهوامش:

¹. سورة الروم الآيات: 48 - 50

². ديوانه: 67 - 70

³. ديوانه: 131

⁴. ديوانه: 91 - 92

5. ديوان أوس بن حجر / تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ط (3)،
1399هـ / 1979م، ص: 91
6. أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجي بن كفلة بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس
كان من سادات قومه الأوس في الجاهلية، وقيل أنه اشتهر بالبخل الشديد، خزانة الأدب:
357/3 – 359.
7. ديوانه / دراسة وجمع وتحقيق الدكتور حسن باجودة - مطبوعات نادي الطائف الأدبي
1399هـ ص: 26.
8. المصدر نفسه: ص 78 – 79
9. البيان والتبيين: 1/235، عيون الأخبار: 1/242، خزانة الأدب 6/410.
10. ذو الخرق: لقب لثلاثة شعراء كلهم من بني طهية أحدهم قائل هذا الشعر وهو خليفة بن حمل
بن عامر بن حميري، وكان من فرسانهم، خزانة الأدب. 1/42
11. الأصمعيات / تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. طبعة دار المعارف، ط: (5)، ص:
124، وخزانة الأدب: 1/43
12. ديوانه: 40
13. نفس المصدر: 124.
14. سورة البقرة الآية: 273
15. مالك بن حريم بن دالان الهمداني، شاعر جاهلي فحل وهو شاعر همدان وفارسها وصاحب
مغازيها.
16. نفس المصدر: 300
17. التعريف به في الشعر والشعراء: 2/666، والأصابة: 10/5 وغيرها.
18. ديوان الهذليين، القسم الثالث: 82
19. شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية / للدكتور وفاء فهمي السنديوني دار العلوم،
الرياض: 1403هـ / 1983م، ص: 251.
20. ديوان عروة بن الورد: 29
21. الشعر الجاهلي / بطرس البستاني، دار المعلم بطرس البستاني 1965م، ص: 78
22. مختارات ابن الشجري: 83
23. شرح أشعار الهذليين: 3/1199

- 24 . ديوان الهذليين القسم الثاني: 125 - 129
- 25 . شرح أشعار الهذليين: 315/1
- 26 . ديوان عروة بن الورد: 29
- 27 . ديوان عروة بن الورد: 70 - 73
- 28 . ديوان الهذليين القسم الثاني: 57
- 29 . أمالي القاضي: 122/2
- 30 . ديوانه: 51
- 31 . شعر بني تميم في العصر الجاهلي: 56
- 32 . ديوان تأبط شرا وأخباره / جمع وتحقيق وشرح على ذو الفقار شاكر، دار العرب الإسلامي - الطبعة الأولى 1404هـ / 1984م، ص: 115
- 33 . التمثيل والمحاضرة / للثعالبي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوة، مطبعة الحلبي القاهرة 1381هـ / 1961م، ص: 395.
- 34 . مسند الإمام أحمد: 57/6 (طبعة المكتب الإسلامي)
- 35 . المصدر نفسه: 36/5.
- 36 . اللطائف والظرائف للمقدسي: 39
- 37 . التعريف به كاملا في أشعار اللصوص وأخبارهم / جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي، منشورات دار أسامة - دمشق ط (1) ص: 99-113
- 38 . المصدر نفسه: 113
- 39 . ديوان عروة بن الورد: 35